سيد قطب ومعالم في الطريق

-٣-

الأخ عصام العطار

{رغب إلينا عدد كبير من الشباب في أن نعيد نشر المقالات التي كتبها الأخ عصام العطار في جريدة المجتمع اللبنانية عن سيد قطب ومعالم في الطريق آخر سنة ١٩٦٥م وأول سنة ١٩٦٦م .. والتي توقفت باضطرار الأخ عصام العطار إلى الخروج من لبنان في تلك الظروف المعروفة للقراء .

ويسر (الرائد) أن تستجيب لهذه الرغبة وأن تعيد نشر هذه المقالات التاريخية التي نشرت ما بين اعتقال سيد واستـــشهاده رحمه الله ، وكان لنشرها ما كان من نتائج وآثار .
ويعاد نشر هذه المقالات الآن وقد مضى على استشهاد سيد قطب رحمه الله ثمان سنوات} .

هل من الصحيح أن سيد قطب قد رجع في كتابه (معالم في الطريق) عن دعوته إلى العدالة الاجتماعية ، وأنه وقف فيه ضدها ؟

هذا الزعم الأخير الذي يتضمنه السؤال الثالث ، لا أدل منه على قلة الحياء في الكذب والافتراء ، وعلى الإمعـــان في امتهان الحقيقة ، والاستخفاف بعقول الناس ..

لأن دعوة سيد قطب إلى العدالة الاجتماعية لم تكن رأياً شخصياً يرجع عنه أو يثبت عليه ، ولكنّها كانت حقيقة إسلامية ، شرحها ، وجدد تقديمها إلى الناس ، بأسلوب أقرب إلى الأفهام في عصرنا الذي نعيش فيه .. حقيقة لـــيس له فيها إلاّ حسن الفهم ، وأمانة النقل ، وصحة العرض ، وحرارة الإخلاص التي شاعت في كلماته وعباراته ، فأهبت القلوب التي رقد جمرها تحت رماد الغفلة ، وفتحت العيون على كنوز الإسلام إلى غطّاها بالإسلام ، وســـترها عنـــا الأعداء ، ليعطونا عنه صورة غير صورته ، تنفرنا منه ، وتصدنا عنه ، وتسوقنا في الطريق الذي يريدون .. حقيقة لا يرجع عنها إلاّ إذا رجع عن الإسلام ، ولا يقف ضدها إلاّ إذا وقف ضد الإسلام ، وكيف يتصور هـــذا في الرجـــل العظيم الذي يعيش في ظلال القرآن ، ومع رسول الرحمن ، والرعيل الأول من الصحابة الأكرمين ، الـــذين بـــاعوا أنفسهم وأموالهم لله .

كيف يتصور هذا في سيد قطب ، الذي لا يفكر إلاّ بالإسلام ولا يشعر إلاّ بالإسلام ، ولا يخطو إلاّ بالإســـلام ، ولا يخاف إلاّ على الإسلام ، ولا يرجو إلاّ الإسلام .. سيد قطب ، الذي صغر عنده في جنب الله كل شيء ، وسهل عليه في طاعة الله كل شيء ، واحتمل في مرضاة الله كل شيء ، وآثر في ذات الله السجن على الحريـــة ، والعـــذاب على السلامة ، والشهادة –إن كتبت الشهادة– على الحياة .. سيد قطب ، الذي رد علينا في قرننا العشرين ، بقـــوة يقينه ، وطهارة ضميره ، واستقامة طريقه ، وجرأة قلبه ولسانه ، واستعلائه بالله عزَّ وجلَّ ، لمحة من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وصورة من صور أولئك الأبرار الأطهار الأبطال ، الذين جسّموا الإسلام في حياتهم للـــدنيا ، وفتحوا به القلوب والعقول والبلاد ، وأقاموا دولته وحكمه : دولة العدالة الاجتماعية الصادقة ، والحرية الحقيقيـــة ، بالعبودية الخالصة لله وحده ، والانعتاق الكامل من العبودية للبشر .

ولكن ماذا يمكن أن يقول أعداء (سيد) وأعداء الاتجاه الذي يمثله (سيد) وهم يريدون أن يـــشوّهوا صـــورته في الأنظار من كل زاوية من الزوايا ، ويلطخوا سمعته من كل ناحية من النواحي ، وبخاصة ناحية (العدالة الاجتماعيـــة) التي تقترن باسمها الجماهير ؟ ..

هل يقولون : إنّ سيد عدو للعدالة الاجتماعية وإنصاف الشعب ، وكفى ؟!

إنّ أحداً لن يصدقهم ، ولن يستقبل كلامهم إلاّ بالضحك ، أو بالسخرية والهزء والاشمئزاز .. فلـــيس هنالـــك مثقف على الأرض العربية ، ولا طالب مدرسة لدينه ولأمته مكان عنده ، إلاّ ويعرف بأن سيد قطب ، هو صـــاحب أشجع قلم في محاربة الاستغلال الاقتصادي ، والاستبداد السياسي ، وفي الدعوة إلى العدالة الاجتماعيـــة ، ورســـم طريقها ، أيام كان بعض من يتهمونه الآن ، يسيرون في ركب الاستغلال والاستبداد ، عبيداً لفاروق وأشباه فاروق ، يحاربون في خدمته سيد قطب ، وكل من رفع صوتاً ضد الظلم ، ومن أجل العدل ، والدفاع عن حقوق الشعب ..

بل إنّ استعادة بعض أسماء كتب سيد قطب يكفي وحده لكشف الكذب والافتراء ، وتعرية الكاذبين المفتـــرين ، وصفع تلك الوجوه التي ليس فيها ماء ، ولا حياء ..

فالناس لم ينسوا بعد : (معركة الإسلام والرأسمالية) ذلك الكتاب الذي أرسله شواظاً من نار ، على مصاصي دماء الشعب . وسار في قوته وحريته وكرامته ، وعلى الاستغلال الظالم بمختلف الألوان والأشكال .

والناس لم ينسوا –ولن ينسوا– كتاب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) الذي كشف لهم احتيال الظالمين علـــيهم وتلبيس استغلالهم عندهم –أحياناً– بالإسلام ، وبصّر المحرومين والكادحين بحقوقهم المهضومة التي أعطاهم إياها الله ، وفتح لهم –باسم الإسلام– أبواب الجهاد المشروع ، لاسترداد الحق المغصوب ، والحرية المضيّعة ، والكرامة المهدرة ، وإقامة المجتمع العادل .

والناس لم ينسوا أيضاً مئات المقالات في الصحف والمجلات .. تلك المقالات الرائعة التي سيقول عنها التاريخ : إنها كان صيحة الحق التي اخترقت الآذان إلى القلوب ، والنور الإلهي الذي ازدادت الطلائع المؤمنة به بـــصراً بـــالطريق ، والصفحة الناصعة الحرّة الجريئة الكريمة ، في فترة قاتمة غلب على كثير من نفوس أهلها الخنوع ، والجبن ، والهـــوان ، والنفاق .

لا ، لا يمكن لأعداء سيد ، أن يقولوا عنه : أنه عدو للعدالة الاجتماعية ، ولإنصاف الشعب ، لأن أحداً لن يقبل منهم هذا الأمر .. فليقولوا إذن : إنّ سيد قطب قد رجع في كتابه الأخير : (معالم في الطريق) عن دعوته إلى العدالة الاجتماعية ، وأنه وقف ضدها ، وليحاولوا بكل إمكاناتهم ، وبكل ما يعرفون من أساليب الخداع ، أن يوهموا بذلك الناس ، وأن يدخلوه إلى الأذهان ..

ومن الناس يمكن أن يرد عليهم كذبهم ، ويفضح للناس افتراءهم ؟

صاحب (المعالم) ؟ وهو بين المخالب والبراثن ، يرسف بالقيود وراء قضبان الحديد

أم كتاب (المعالم) ؟ وقد صودر من الأسواق ؟ وطورد في كل بلد لأعدائه فيه نفوذ ..

أم أخوان الكاتب المسلم ؟ وقد عقلت أكثر ألسنتهم وأقلامهم الظروف ، وتلاقى على حربهم -كما هي العادة- الشرق والغرب ، واليسار واليمين ، في الداخل والخارج ..

أم يرد المنصفون ؟ وأين هم المنصفون الحريصون على الحق لذات الحق ، لا تميل بهم عنه رغبـــة ولا رهبـــة ، ولا يلجئهم الخوف إلى السكوت ؟! ..

ثم إن قيلت كلمة الحق بفم واحد ، أو قلم واحد ، قيلت كلمة الباطل بألف فم ، وألف قلم ، واتصلت بالعيون والأسماع بمختلف وسائل الإعلام ..

- للكلام صلة -